

أهمية العلوم الانسانية في تشكيل الانظمة السياسية: دراسة في علم الاجتماع

تقديم: م.م. رفل اياد صالح
مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية/ جامعة بغداد

الملخص

يعود أصل العلوم الإنسانية والاجتماعية الى المدرسة اليونانية الكلاسيكية القديمة، بالتحديد في القرن الخامس قبل الميلاد، إلا انها ظهرت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، ثم تطورت نتيجة التجاوب الطبيعي مع تطلعات المجتمعات التي ظهرت فيها لمعالجة قضاياها وازماتها.

إلا ان الأمر عندما يتعلق بتشكيل الأنظمة السياسية وتأثير تلك العلوم ولا سيّما علم الاجتماع، فإننا نتحدث عن مهام استثنائية تدور حولها إدارة مجتمع كامل، وهذا ما نلحظه في حالة العراق، وكيف مر في مراحل سياسية وتاريخية متناقضة وسريعة جعلت التحولات السياسية في حالة فوضى مستمرة، إلا انها ساعدت في فهم المجتمع وكيفية تأسيس نظام سياسي ملائم لبيئة المواطن ورغباته اليومية.

ولأن بحثنا عن دراسته في العراق فسنبحث عن أهميته هذه العلوم بشكل عام ودورها في تأسيس الأنظمة السياسية وبعدها ندرس تأثيرها في حالة العراق.

Abstract

The origin of the humanities and social sciences dates back to the ancient classical Greek school, specifically in the fifth century BC, but it appeared in the second half of the nineteenth century and the beginning of the twentieth century, and then developed as a result of the natural response to the aspirations of the societies in which it appeared to address their issues and crises.

However, when it comes to the formation of political systems and the impact of these sciences, especially sociology, we are talking about exceptional tasks around which the management of an entire society revolves, and this is what we observe in the case of Iraq, and how it passed through contradictory and rapid political and historical stages that made political transformations in a state of continuous chaos, but it helped in understanding society and how to establish a political system suitable for the citizen's environment and his daily desires.

Because we searched for studying it in Iraq, we will look for the importance of these sciences in general and their role in establishing political systems and then study their impact on the case of Iraq.

المقدمة

لا أحد ينكر الاختلاف في البحث العلمي بالعلوم التجريبية عن العلوم الانسانية والاجتماعية كعلم النفس وعلم الاجتماع، فمنذ بداية القرن التاسع، انفصلت الفلسفة عن هذه العلوم، وبدأت العلوم التجريبية تدرس العلوم الانسانية بمناهجها التي تدرس الظواهر الطبيعية. فمصطلح العلوم الإنسانية (Humanities) يطلق على العلوم التي تتخذ من الانسان موضوعاً للدراسة العلمية، وتعرف على انها العلوم التي تعنى بوصف ودراسة وتحليل وتوثيق التجربة الإنسانية من جميع جوانبها، فضلاً عن أساليب التعبير والتواصل، فهي تستهدف الإحاطة المنهجية الوصفية والتفسيرية بالظواهر الإنسانية كعلوم الاجتماع والاقتصاد والجغرافية والاثروبولوجيا، وهناك العلوم المسماة بالعلوم المعنوية كعلم النفس وعلم الاجتماع وعلم الاقتصاد والتاريخ، والتي تبحث في أحوال الناس وسلوكهم. إلا ان أهميتها تتوسع لتصل الى تشكيل النظام السياسي للدول من خلال دراسة أحوال مجتمع ما وافراده ورغباتهم ومستوى معيشتهم ومدى ثقتهم وعلاقتهم وقناعتهم بذلك النظام السياسي القائم، ودراستنا عن حالة العراق، وكيف اثرت هذه العلوم بالنظام السياسي وادراك الافراد لها بتشخيصها لهم ولطبيعتهم ولبئنتهم، وهدفها في وضع نظام سياسي ذو تتطور مواكب لما يرجوه مواطنوه منه.

أهمية البحث

تقوم أهمية البحث من منطلق كونها العلوم التي تثير الجدل ولا زالت، مقارنةً بالعلوم التطبيقية، رغم أهمية الأخيرة بأغلبية وظائف الافراد، إلا ان العلوم الإنسانية والاجتماعية تبقى ذو أهمية في التنشئة السياسية والنظام السياسي ودورها في وضع دراسة دقيقة لطبيعة الافراد وبيئتهم ومدى علاقتهم مع النظام السياسي.

هدف البحث

تستهدف الدراسة الالتفات الى أهمية العلوم الإنسانية والاجتماعية، وبما ان الضوء دائماً يسقط على العلوم التطبيقية والعلمية، فأنا سنركز بحثنا على إيجاد أهمية العلوم الإنسانية والاجتماعية في حياة الافراد كتأسيس النظام السياسي بالبلاد العربية ولا سيما في العراق.

فرضية البحث

تعتمد فرضية البحث على علاقة طردية بين أهمية دراسة العلوم الإنسانية والاجتماعية والاخذ بها الى درجة الاهتمام بالعلوم التطبيقية، فكلما وجدت الحلول للمشاكل العالقة بين الفرد والحكومة، كلما ساعد ذلك في توفير فرص تحقيق ثقة متبادلة بين الطرفين

شكالية البحث

تتركز إشكالية البحث بالسؤال الرئيس ب: هل تضاءلت أهمية العلوم الانسانية والاجتماعية في تشخيص أحوال المجتمع مقابل العلوم التطبيقية؟ ومن هنا يتفرع الى عدة أسئلة فرعية أهمها:

- 1- ماهي العلوم الإنسانية والاجتماعية؟
- 2- أهميتها في تشكيل الأنظمة السياسية؟
- 3- المهام التي تركز عليها هذه العلوم؟
- 4- أهميتها في العراق؟

5- مستقبل العلوم الإنسانية والاجتماعية؟

منهجية البحث

بينما المنهجية، فسنعتمد على المنهج التاريخي والاستشراقي.

هيكلية البحث

ستقسم هيكلية البحث الى محورين، فضلاً عن المقدمة والخاتمة والاستنتاجات والتوصيات: المحور الأول: دراسة في ماهيتها، ويتفرع نحو: أولاً دلالة تاريخية، ثانياً مشكلة محتدمة، ثالثاً علوم متباينة، بينما المحور الثاني: دورها في تشكيل الأنظمة السياسية، ينقسم الى: أولاً أهميتها في معالجة القضايا، ثانياً: أهميتها في العراق، ثالثاً: مستقبل مطروح.

المحور الأول: دراسة في ماهيتها

أولاً: دلالة تاريخية

يتمثل الإطار النظري للدراسة في دراسة مبادئ وفروض ونتائج البحوث العلمية التي ابدعتها العلوم الطبيعية من قبل العلماء المختصين في العلوم الانسانية والاجتماعية في محاولة السيطرة عليها وتوجيهها للمصالح البشرية).

فالانسانية تدل على ما اختص به الإنسان من صفات وبهذا المعنى الكلي الدال على الخصائص المشتركة بين جميع الناس، اما مصطلح العلوم الانسانية فهو يدل على تلك العلوم التي تتخذ من الإنسان موضوعاً للدراسة العلمية وبما إن الإنسان يتميز بثلاثة أبعاد كالبعد التاريخي، والنفسي، والاجتماعي، فإن العلوم الانسانية جاءت كنتيجة لهذه الأبعاد، وقد اعتبر (اندري لالاند) في معجمه الفلسفي بأن العلوم الانسانية تعبير يدل على ما كان متفق على تسميته بالعلوم الأخلاقية، وهذا يعني ان كلمة علوم إنسانية تنطبق على العلوم المعنوية عند البعض نظراً لأهتمامها بالجانب الأخلاقي في مقابل مادي، والبعض يطلق عليها تسمية علوم الإنسان نظراً لما تثيره في تأويلات تتعلق بالقيم والأخلاق، فكما أننا لا نقول العلوم المادية والعلوم الحية إلا في سياق عام فكذلك لا نقول الإنسانية إذا كان العلم يعرف بموضوعه).

كما انها ليست واحدة بل متعددة، فهي تشير الى دراسات تستهدف الإحاطة بالمنهجية الوصفية بالظواهر الانسانية كعلوم الاجتماع والاقتصاد والتاريخ والنفس... إلخ، وبالنظر الى دراستنا للعلوم الاجتماعية فهي علوم حديثة بنشأتها في القرن التاسع عشر ميلادي ويعد (ج. س. ميل) اول من دعا الى مضاعفة الجهد لتأسيس العلوم الاجتماعية، ففي كتابه (نسق المنطق) رغم كون المصطلح موجود منذ القدم عند (ابن خلدون) في كتابه (علم العمران) ().

فقد وضع العلماء والمفكرون شروط اساسية لنؤمن فيها درجة التقدم كما في العلوم الطبيعية فالاخيرة تهتم بدراسة الظواهر الطبيعية كالفيزياء، والكيمياء، والجيولوجيا، اما الانسانية فهي تتجه نحو دراسة اصل تاريخ الإنسان، اي انها تدرس أنشطة ومنجزات الإنسان، وإذا جئنا الى دراسة ظاهرة اجتماعية دراسة علمية نجد ابن خلدون من اوائل الذين عملوا على فهم الظواهر الاجتماعية ودراستها دراسة تجريبية وتجاوز العوائق التي تصادفها، واطلق على هذا العلم اسم (عمران العالم) فضلاً عن (اوغست كونت) وهو أول من استعمل اسم (علم الاجتماع) وبعدها تناول (ايميل دوركايم) الظاهرة الاجتماعية من خلال دراستها دراسة تجريبية قائمة على تحديد خصائصها والعوامل التي تتحكم بها ().

إلا ان (ماكس فيبر) يعد من أوائل المفكرين الذي تبينوا منظور علم الاجتماع، والتركيز على الفعل الاجتماعي بدلاً من البنية الاجتماعية، وقد أسس مجلة في تطوير علم الاجتماع بعنوان (ارشيفات العلوم الاجتماعية والعلوم السياسية) في عام 1904، كما شارك في تأسيس الرابطة الألمانية لعلم الاجتماع عام 1910 ().

من جانب آخر، فالهدف من تأسيس العلوم الانسانية والاجتماعية دراسة للسلوك البشري وتنظيمه بما يخرج من حالة الفوضى الى حالة النظام، ففي القرنين الماضيين قطعت هذه العلوم اشواطاً لتحقيق اهدافها، لكن التطور العلمي فتح آفاقاً كثيرة اجبرها على اعادة هيكلة نفسها ومسايرة التطور. فمناهج العلوم الانسانية ذات مهام يمكن ادراجها بالآتي(:

1- التنظيم الاجتماعي: يشير بصفة عامة الى الأساليب والطرق التي تضفي طابعاً نظامياً على السلوك الإنساني، وقد بين المفكر الإنجليزي المعاصر (بارنز Barnes) إن التنظيم الاجتماعي يتمثل في الجهود التي يبذلها الإنسان من أجل تحقيق أهداف وغايات تلبى حاجاته الضرورية.

2- التنشئة الاجتماعية: تشير الى صقل الأفراد وتكوين مواطن صالح، وهي إحدى مهام العلوم الانسانية والاجتماعية.

3- تحليل انساق التفاعل الضيق النطاق: فمهمة العلوم الانسانية والاجتماعية لا تتوقف عند آليات الانساق والانسجام بين أفراد المجتمع او الأسرة، وانما دراسة مظاهر الانحراف والأسباب التي تؤدي إلى الضغوطات والانهيئات من خلال التعرف على الصراع كدراسة قوة الانتاج واسباب قلة مردوديته على سبيل المثال.

4- دراسة الصراع الاجتماعي: إن ما يحتويه الصراع من جانب سلبي وايجابي يشكل إحدى اهتمامات العلوم الانسانية والاجتماعية مع مراعاة أهمية القيم في هذا الصراع لأن غياب القيم يجعل والمجتمع عرضة للتآكل وتفكك وحدته.

5- تهذيب التأمل: تعمل هذه العلوم على تهذيب التأمل الذاتي ليتطلع الإنسان على عالمه الداخلي وتوجيه سلوكه توجيهاً سليماً.

يقول (جاستن باشلار Gaston Bachelard) (1884-1962) شيخ فلاسفة العلم في فرنسا إن: العلم لا يخرج من الجهل كما يخرج النور من الظلام لأن الجهل ليس له بنية، بل يخرج من التصحيحات المستمرة للبناء المعرفي السابق، حتى إن بنية العلم هي إدراك أخطائه().

فمن طليعة الرواد الذين استشعروا بعمق مشكلة العلوم الانسانية وعجزها النسبي عن تحقيق التقدم الذي احرزته العلوم الطبيعية هو (فيلهلم دلتاي W.Dilthy) (1838-1911) وذلك في مشكلتين: الأولى إن العلوم الانسانية مازال يعوزها تصور واضح ومتفق عليه عن اهدافها ومناهجها المشتركة والعلاقات بينها، اذا ما قورنت بما هو سائد في العلوم الطبيعية، والثانية هي إن العلوم الطبيعية تزداد منزلتها ومكانتها نمواً بحيث ترسخ في الرأي العام مثلاً أعلى للمعرفة لا يتلائم مع التقدم في العلوم الإنسانية().

ثانياً: مشكلة محتدمة

أصحاب الدراسات الإنسانية ولا سيما علمي النفس والاجتماع نازعهم الحلم الطوباوي بالظفر بمنزلة الفيزياء بمناهجها الرياضية وتطبيقاتها وذلك عن طريق اعادة تشكيل المجتمعات وكان هذا الحلم طوال القرن الثامن عشر حتى تلمس طريقه الى ارض الواقع خلال القرن التاسع عشر بفضل الاسترشاد بالمثال الحتمي().

وفي القرن العشرين نجد إن العلوم الانسانية قطعت شوطاً طويلاً وجهوداً مضنية الى حد كبير في تعريف وتحديد موضوعاتها ومظاهرها ومفاهيمها().

فتحديد مشكلة العلوم الانسانية مقارنة بالعلوم الطبيعية هي عجزها عن بلوغ المرحلة التفسيرية او بالأدق اضطراب محاولاتها التفسيرية وافتقارها للتقنين المنطقي وكما أشار (هومانز) ليس ثمة كلمة تستخدم في العلوم الانسانية اضخم واهم من كلمة (النظرية)، فالتفسيرات المطروحة في العلوم الانسانية تعجز عن التكامل لأنها تفتقر الى الخصائص المنطقية الدقيقة وليس بقصد إنكار اي قيمة لها، ولكن ينقصها شيء من الدقة لتكون مثمرة، حتى إن البعض يذهب إلى تحديد مشكلة العلوم هل هي علوم فعلاً، فيكون السؤال المطروح هل يمكن أصلاً قيام علوم إنسانية وسرعان ما تأتينا الإجابة بالنفي().

وقد تبني (ماشلوب) هذه القضية في بحثه (هل العلوم الانسانية حقاً في منزلة ادنى)، إذ يرفض الدقة بمعنى القياس والقدرة على التنبؤ بنجاح بأحداث مستقبلية او التحول الى لغة رياضية موضحاً إن المعنى الحقيقي للدقة هو إمكان بناء نسق من النماذج التي تحتوي على متغيرات يمكن منها استنباط كل القضايا الخاصة بأرتباطات معينة، ويضيف بأن الأمثال لا توجد في كثير من العلوم الطبيعية بينما توجد بموضع واحد على الأقل من العلوم الانسانية وهو علم الاقتصاد، ذلك إن الدقة لا يمكن نسبتها الى كل العلوم الطبيعية، كما لا يمكن رفضها بالنسبة لكل العلوم الإنسانية().

ثالثاً: علوم متباينة

حسب قاموس العلوم الاجتماعية، فإن العلوم الإنسانية والاجتماعية هي: مجموع العلوم التي تدرس الإنسان داخل المجتمع، بحيث لا يمكن تصور إنساناً لوحده ولا مجتمع من دون بشر.

فقد وجد فريق من العلماء يرى أن الفصل بين المفهومين غير ذي جدوى، لأنه لا يمكن تصور إنسان خارج المجتمع، ولا يوجد مجتمع من دون بشر. ولكن فريق آخر من العلماء يفرق بين العلوم الإنسانية، والعلوم الاجتماعية، ومن أبرز الفروقات التي يرونها:

1- العلوم الاجتماعية تدرس النواحي الإنسانية للعالم والحياة، لكنها تفتقر عن العلوم الإنسانية في تأكيدها الدائم ومحاولتها المستمرة لتطبيق المنهج العلمي، وقواعد ومعايير علمية صارمة في دراسة النواحي الإنسانية بما في ذلك الطرق الكمية والطرق الكيفية.

2- العلوم الإنسانية تدرس الإنسان كإنسان (الأصل، الثقافة..) دون الأخذ بعين الاعتبار مسألة انتمائه لمجتمع معين، بينما تدرس العلوم الاجتماعية الإنسان في تفاعله مع المجتمع (نشاطات الإنسان داخل المجتمع).

وبشكل عام، فإن التمييز بين العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية هو ضرورة منهجية لتحديد المجالات العلمية التي تدرس الإنسان من حيث أصوله وثقافته وانجازاته().

بينما الذي يجعل العلم علماً ليس لغته أو نتائجه بل أهدافه، والمهم إن تتجاوز العلوم الإنسانية تخلفها النسبي هو إن تضع نصب عينها هدفاً محدداً وهو الوصول إلى تفسيرات أعلى واكفاً مما هو متاح الآن ().

المحور الثاني: دورها في تشكيل الأنظمة السياسية أولاً: أهميتها في معالجة القضايا

قد جاء اهتمام علماء الاجتماع بالتصورات السيكولوجية في إطار قناعاتهم بالروح العلمية لهذا العلم، وأهميته في دراسة التفاعل الاجتماعي والارتباط الاجتماعي وفهم السلوك الإنساني في نطاق الجماعات الاجتماعية الصغيرة والكبيرة كالأُسرة، والتنظيمات الدينية، والمدن ().

عانى العالم اليوم من مجموعة مشاكل منها الصراعات المسلحة، الأزمات الاقتصادية والأوبئة التي تؤثر سلباً على حياة سكان المعمورة. فيتأثر القطاع الثقافي بهذه الأزمات بشكل مباشر أو غير مباشر، كما أن للتقدم السريع للعلوم والتكنولوجيا، تأثير كبير على العلوم الإنسانية اليوم، إذ هي تمر بأزمة واضحة، ففي مختلف أرجاء العالم نجد أن التوجه إلى التخصصات العلمية التطبيقية البحثية أكثر رواجاً في حين تشهد العلوم الإنسانية انحساراً ملحوظاً، ربما لك ناتج عن عدم توفر فرص العمل، وعدم قدرة التخصصات على مواكبة سوق العمل ومتطلباته. وللتخلص من تأطير العلوم الإنسانية ضمن الهويات العرقية، يجدر بنا مجاراة أيديولوجيات جديدة، واختفاء أو ولادة بعض التيارات الفكرية، بالإضافة إلى معرفة متطلبات الشباب وتوقعاتهم، وأزمة سوق العمل، وذلك بما يتماشى مع طموحات العصر واحتياجاته ().

فالعلوم الإنسانية والاجتماعية تهدف إلى معالجة ثلاث قضايا رئيسة من منظور متعدد التخصصات:

- 1- التمثيلات الثقافية والتعريفات المتعددة التخصصات فهي تتقارب مع مجال علم الأحياء وعلوم المادة والأرض والكون من أجل فهم نشوء الحياة كظاهرة معقدة.
- 2- المساهمات في أبحاث علم الخارجية، إذ تسعى للتحقيق التاريخي من تكوين مجموعات إلى تتبع كيفية ارتباط المعرفة بالحياة ودراسة هذه المواد.
- 3- الإطار المعياري حول أصل الحياة، فهي تقوم بدراسة أدوات التواصل الدقيق للبحث العلمي بصرف النظر عن الخبرة في كيفية نشر الاكتشافات، كما يكمن في زيادة الوعي بالخطوات التي يتخذها علم متعدد التخصصات.

كما تهتم العلوم الإنسانية بكيفية تعامل الناس، وتوثيقهم لتجاربيهم الإنسانية، فقد استخدم الإنسان أساليب مختلفة لفهم العالم كالأدب، والفلسفة، والدين، والفن، والموسيقى، والتاريخ، واللغة، فهي تدرس الحالات الشاذة داخل المجتمع والتي تكون سبب رئيس في انهيار أفراد المجتمع، ومن هذه الحالات ():

- 1- الصراع الاجتماعي: دراسة مشكلات التفاعل الاجتماعي والصراع الطبقي الناتج عن غياب القيم، وقد يفضي إلى غياب النظام وزوال الاخلاق، وبما يحمله من جانب سلبي وإيجابي، يجب مراعاة أهمية القيم في الصراع لأن غيابها -القيم- يجعل الصراع وسيلة لتآكل المجتمع.
- 2- التأمل: من خلال معرفة أحوال الإنسان إلى حد التطلع بأحوال الماضين من الناس السياسية والاخلاقية واساليبهم في التجارة والحروب، فهي مصدر العبر والدروس التي تتعلم منها البشرية كيفية تجاوز أخطائها.

3- التنظيم الاجتماعي: يتمثل بالجهود التي يبذلها الانسان من اجل تحقيق اهداف وغايات تلبى له حاجاته، وكما يقول المفكر الإنكليزي (بارنيز Barnes) بأنه: كل من جهودات الرجال لتحقيق بعض الأهداف عادة وارضاء الاحتياجات الإنسانية الحيوية والمجموعة الاجتماعية والهياكل التي تنتج عن هذه الجهود.

4- التنشئة الاجتماعية: من خلال اصلاح أحوال الافراد واعدادهم ليكونوا افراداً فاعلين داخل مجتمعاتهم، كونها أي التنشئة الاجتماعية عملية ينتقل من خلالها الكائن البشري من مجرد كائن بيولوجي حيوي الى كائن اجتماعي.

5- انساق التفاعل: ان مهمة العلوم الإنسانية والاجتماعية لا تقتصر على البحث عن اليات انسجام واتساق افراد المجتمع بل تتعدى الى دراسة مظاهر الانحراف فلا يمكن فهم الاسرة الناجحة على سبيل المثال إلا من خلال دراسة أسباب الطلاق، ولا يمكن دراسة قوة الإنتاج دون التطرق الى الضغوطات التي يتعرض لها العامل فتسبب انهياره وقلة مردوديته.

وباستطاعتنا ان نتوقع بعد هذا ان ميل الباحثين في الظواهر الإنسانية والاجتماعية الى دراسة انساق التفاعل الضيقة النطاق وذلك بعد تجريبها عن السياق الإنساني والاجتماعي ودراستها كمواضيع مستقلة().

مهما يكن ميدان المجتمع الواقع تحت الدرس، فالمؤسسة الاجتماعية تتركز على ثوابت تركز على استقلالية هذا العلم الذي دافع عنه دوركايم في القرن التاسع عشر كونها():

- 1- استحالة فصل الفرد عن وسط اجتماعي معين.
 - 2- المعالجة الشاملة هي الصالحة في علوم الانسان.
- فالتطورات التاريخية لعلم السياسة تدل على تحرر هذا العلم من فرضية انعزال الفرد:
- 1- من وجهة نظر القانون الطبيعي ونظرية العقد الاجتماعي، تدل على المقارنة بين الحالة الطبيعية والحالة الاجتماعية على اسبقية الأولى على الثانية.
 - 2- يرى مونتسكيو- مؤسس علم السياسة- ودوركايم فنقطة الانطلاق تقوم على عكس فكرة(الناس يولدون وهم مرتبطون ببعضهم البعض).

ثانياً: أهميتها في العراق

في الدول العربية يعد جزءاً لا يتجزأ عن بناء الدولة، والذي يشكل الدولة والهوية الوطنية، ولذلك يعمل العقد الاجتماعي في جميع الدول على إعادة التوزيع غير المتكافئ ولا سيما عبر أنظمة الرعاية الاجتماعية، كما لها دوراً كبيراً في السياسة الاقتصادية عبر تنظيم السوق وانشاء صناعات بديلة للمستوردات().

فلا شك في وجود صفات يشترك بها العرب في جميع بلادهم، إلا انهم مختلفون من حيث ظروفهم، أي له تاريخه الخاص من الجوانب السياسية، والاجتماعية، والدينية، والاقتصادية وغير ذلك().

فعند دراسة تاريخ العراق الاجتماعي منذ اقدم عصوره الى هذا العصر، نجد ان وضع العراق تعرض للضعف تارة وللوقوة تارة أخرى، وهذا ما نسميه بـ(ظاهرة المد والجزر) بين البداوة والحضارة، ومشكلة العراق حين يبقى متمسك بقيمة البداوة وينحسر عن الحضارة تبعاً للظروف التي يمر بها، وبالعكس صحيح عندما يتمسك بالحضارة ويتعدى عن المد البدوي().

فقبل عام 2003 جعلت ديناميكيات النظام السياسي في العراق قائم على القوة لغرض تشكيل المجتمع، فقيام الدولة على الاقتصاد الريعي مقابل الضمان الاجتماعي والخدمات الاجتماعية والاقتصادية لترسيخ الروابط وبناء الهوية العراقية.

إلا ان غزو العراق عام 2003 وتول العراق الى دولة هشّة، كونها مرحلة اتسمت بتعقيد بناء الدولة واستبدلت بنظام عرقي وطائفي، ما يجعل تشكيل الحكومة مرهوناً بصفقات ويجعل فيها مصالح السكان ثانوية بالنسبة للمصالح الفردية والسياسية.

وبذلك الدولة واجهت المشاكل بشكل دائم كاستشراء الفساد وضعف الاقتصاد والتحديات البيئية الكبيرة وغيرها منذ عام 2017 وانتصار الدولة على تنظيم داعش الإرهابي، فإلى جانب تقاسم السلطة الحالي تُوَجَّح هذه المخاوف احباطاً للمواطنين لأن العقد الاجتماعي يقوم اساساً على تلبية احتياجاتهم، إلا ان التظاهرات الشعبية في عامي 2018 و2019 أظهرت كيف فقد المواطن الثقة بالحكومة ومطالبتهم بتوفير الوظائف والامن والخدمات اللازمة للعيش الكريم. فالعراق احتل المرتبة 146 من 162 دولة على مؤشر اللامساواة بس الجنسين حسب برنامج الإنمائي الأمم المتحدة الإنمائي في عام 2019 (.)

فقد تعطلت مركزية السلطة وشجعت مبادئ تقاسم السلطة بين عامي 2010 و2014، والسماح لفئات المجتمع المختلفة المشاركة في صنع القرار السياسي، وفي عامي 2012 و2013 اندلعت الاحتجاجات الشعبية في المناطق (السنية) محاولة لإعادة التفاوض على العقد الاجتماعي إلا ان رد الحكومة القاسي واقصائها لهم، ارتفع معدل الفقر من 19% في عام 2013 الى 22.5% عام 2014، فضلاً عن ظهور تنظيم داعش الإرهابي الذي استغل الفراغ الذي تركته الحكومة وانشأ عقد اجتماعي مع السكان له نظامه الخاص بتقديم الخدمات لهم(.)

إلا ان تشكيل الحكومة الجديدة في نيسان/ ابريل من العم 2014 برئاسة (حيدر العبادي) والوقت نفسه سيطر تنظيم داعش الإرهابي على مناطق اهتمتها الحكومة، في وسط احتجاجات امتدت من البصرة الى مناطق أخرى من البلد، مما اضطر رئيس الوزراء على تلبية نداء هذه المظاهرات كونها أي الهوية الوطنية أساس تشكيل العقد الاجتماعي.

ومرة أخرى اندلعت احتجاجات عام 2017 و2018 حول الفساد والبطالة والتردي الاقتصادي، فكانت فئة الشباب المحرك الأساس للمظاهرات، إلا انها زُدت بالقمع والوعود من قبل الحكومة، فذروتها كانت في شهر تشرين الأول عام 2019 وعام 2020 وبدرجة اقل عام 2021، فأنتهت بأطلاق برنامج اصلاح اجتماعي واقتصادي، إلا ان نجاحه لم يتحقق بسبب جائحة كورونا (كوفيد19)(.)

ومما سبق، نجد ان المجتمع العراقي مجتمع واقع بين قيم البداوة، وقيم الحضارة، وهذا ما يجعله يعاني من صراع اجتماعي وسياسي على مدى العقود الماضية(.)، إلا ان هذا لا يقتصر عليه فقط، بل هناك ما يقاربها بالبلدان العربية، فحسب الباحث(وليم ويلكوكس)(*) فقد وضع مقارنة بيم المجتمع اعراقي والمجتمع المصري، كونهما يقعان في ظروف متشابهة من، فقد وجد التشابه في التغلغل بالمد البدوي من ناحية والميل الحضاري من ناحية أخرى(.)

ثالثاً: مستقبل مطروح

ان الطريقة النظامية التي تصور فيها النظرية السوسولوجية افكارها هي خاصية تشترك فيها مع النظرية في أي فرع اخر من فروع المعرفة كعلم النفس، وتعد التشاركية هي ايضاً خاصية مهمة للنظرية السوسولوجية، فهي تربط عدداً لا يحصى من الاحداث مع العديد من الاختلافات الظاهرة.

ثالثاً: مستقبل مطروح

ان الطريقة النظامية التي تصور فيها النظرية السوسولوجية افكارها هي خاصية تشترك فيها مع النظرية في أي فرع اخر من فروع المعرفة كعلم النفس، وتعد التشاركية هي ايضاً خاصية مهمة للنظرية السوسولوجية، فهي تربط عدداً لا يحصى من الاحداث مع العديد من الاختلافات الظاهرة.

وقد اشار(سملسرSmelser) بأن الفرضيات التي تربط المواقع في البناء الاجتماعي بالسلوك تركز دائماً على توكيدات سايكولوجية ضمنية، وترتكز بشكل محدد على أفكار عامة حول الطبيعة الإنسانية().

لقد اشتق اوغست كونت (1789-1857) الذي يلقب بمؤسس علم الاجتماع، من خلال تفحصه لمرتكزات الاستقرار الاجتماعي فقد ارسى كونت الافتراض الأساس للوظيفية والمرتبطة بالاعتمادية المتبادلة للنسق الاجتماعي عدما قال:
ان الدراسة الاستاتيكية لعلم الاجتماع تتمثل في سبر غور قوانين الفعل، وتفاعل الأجزاء المختلفة للنسق الاجتماعي ().

اما الأدوات المستقبلية المطروحة فهي():

- 1- تنظيم المؤثرات: إذ تطور الأفكار والبحث عن نشر المعرفة العلمية لأوسع جمهور ممكن.
- 2- المشاركة في إنتاج فيلم وثائقي يقدم أنشطة اجتماعية تو إنسانية كالتنوع الثقافي مثلاً.

ولأن العلوم الإنسانية تعد مهمة جداً في حياة الإنسان، وذلك لأسباب كثيرة، منها():

- 1- تحسين مهارات التواصل الشفهي والكتابي.
- 2- تحديد الروابط بين جميع مجالات المعرفة، وطريقة تناسبها معاً.
- 3- التدرب على مهارات التفكير التحليلي المطلوبة ليكون الشخص ناجحاً في مجاله.
- 4- تعميق مصادر المعرفة عن طريق تعلم طريقة تعامل الآخرين مع الفشل، والنجاح.
- 5- تعميق الفهم، والتقدير للثقافات الأخرى، ولوجهات نظر الآخرين.
- 6- تحديد القيم الشخصية بمقارنتها مع ما كان الآخري يعتقدونه.

بينما العوامل التي تؤثر في تشكيل النظام السياسي في العراق هي():

- 1- الأسس الهشة لمؤسسات الدولة قبل عام 2003.
 - 2- نقص التمثيل في صنع القرار.
 - 3- انتشار الفساد.
 - 4- عدم القدرة على انشاء حكومة اتحادية فاعلة.
 - 5- تركيز الأحزاب السياسية على مواقعها داخل النظام.
 - 6- انعدام ثقة المواطن بالحكومة.
 - 7- السياسات الاقصائية التي تمارسها الحكومة تجاه المواطن.
- فمن خلال قراءة ودراسة المجتمع وتغييراته، نجد ان التحولات السياسية والاجتماعية العميقة التي شهدتها المجتمع العراقي لأكثر من نصف قرن مضت من الاحتقان والكبت السياسي والتهجير والحروب التي أفضت الى تغيير النظام السياسي بعد عام 2003.

وما حدث بعد 2003 من ارباك في طبيعة العلاقة بين النظام السياسي والمجتمع وتأثيره على الفاعلين السياسيين والاجتماعيين.

فالمجتمع العراقي مجتمع موغل في عمق التاريخ الحضاري ضمن جغرافية تثير أطماع الدول الاستعمارية. وبلا شك ان العراق كبلد تأثر وأثر إلا انه ظل متماسك في صيرورة الحياة والتاريخ لأنه من المجتمعات التي تنظمها التقاليد الاجتماعية.

وضمن القراءة الموضوعية ما يزال يعمل بحدود الأنثروبولوجيا السياسية التقليدية التي تقوم على حدود الأغلبية والأقلية للمكونات السياسية في رسم موازين السلطة ودور زعماء القبائل ورجال الدين وتأثيرهم في منظومة الحكم حيث تنقسم السلطات الحاكمة في النظام السياسي الى قوى طائفية واثنية وقومية وبهذه المعادلة تفقد الدولة اخلاقها السياسية في المنظور السياسي للدولة الحديثة().

وقد عرفت تركيبة النظام السياسي بالفسيفساء الاجتماعية والسياسية كأمر واقع للمجتمع المتنوع التي فرضه الواقع السياسي، وكرست وجوده الأحزاب كأيدولوجيات سياسية، ورسمت ملامحه في بنود الدستور، وفي الممارسات السياسية لجميع الأنشطة التي مرت خلال عمر النظام السياسي القائم. وهذه التكوينات السياسية تحالفت ضمن طقوس سياسية تحدد اوزانها الانتخابات التشريعية لكل دورة انتخابية على ان تبقى متماسكة وتدور في فلك النظام السياسي.

فرغم التحديات التي تواجه النظام السياسي العراقي، فإنه يمكن القول إن هذا النظام يعتمد على تفاعل وتماسك بين السلطات المحلية والمركزية، فضلاً عن التحالفات بين المكونات السياسية. ومن هنا نجد ان الأنثروبولوجيا السياسية تلعب دوراً مهماً في دراسة هذا التفاعل وتوفير الحلول البناءة لحل المشكلات السياسية والاجتماعية التي تواجه النظام السياسي().

فضلاً عن ذلك، هناك أسباب تساهم في تماسك النظام السياسي منها انعدام الطبقة الوسطى وغياب تأثيرها في المجتمع، وضعف الحركات السياسية لقوى المجتمع المدني.. وهذا الفهم التقليدي للأنثروبولوجيا السياسية ودور الطائفية والاثنية والقبلية ضمن إطار النظام السياسي عطل حركة المجتمع المدني وتأخر انتقال الدولة من المحلية الضيقة الى نظام إقليمي يسعى الى البحث عن هوية سياسية واقتصادية وجودية للعبور نحو العالم.

ولأن الديمقراطية الحديثة ونظامها السياسي البرلماني والقانوني لا ينسجم مع استعمال عنصر القبيلة والسيطرة بالطائفة او بالقومية. وبهذا الطرح التقليدي للأنثروبولوجيا السياسية لموضوعة السلطة والهيمنة عليها من قبل التنظيمات السياسية بعيدة عن التغيير والتحويلات في الوحدات السياسية لبنية الدولة ستؤدي حتما الى تخلف الثقافة السياسية والاقتصادية لمفهوم الدولة الحديثة، باعتبارها الجهاز القائم على تدبير الشأن العام للمجتمع().

ومما سبق يمكننا القول، بأن بنية النظام السياسي العراقي تعتمد على مكونات اجتماعية متعددة تنشأ عنها العديد من المشكلات السياسية التي تواجه البلد. كالصراعات العرقية والدينية، فضلاً عن توتر العلاقات بين الحكومة المركزية والإقليم.

كما تعد دراسة الواقع السياسي العراقي واحدة من أكثر المواضيع تعقيداً في الأنثروبولوجيا السياسية، لأن البلد قد مر بعدد كبير من الصراعات السياسية والاجتماعية والاقتصادية على مدى عقود عديدة().

الخاتمة

ختاماً، نصل الى قول ان العلوم الإنسانية لها الدور الكبير في تشكيل الأنظمة السياسية، لا سيما في مجتمعات مثل العراق التي شهدت تحولات سياسية واجتماعية كبيرة.

فهي لها دوراً مهماً في تشكيل الأنظمة السياسية في العراق من خلال تحليل وفهم التغيرات الثقافية، الاجتماعية، والاقتصادية التي تؤثر في المجتمعات. تسهم هذه العلوم في دراسة السلوك السياسي للأفراد والجماعات، وتوفير أدوات لتحليل العلاقات بين الفئات الاجتماعية المختلفة والدولة، مما يساعد في بناء أنظمة سياسية أكثر شمولية وعدالة في السياق العراقي، كما يعد دور العلوم الاجتماعية حاسماً لفهم التحديات السياسية الراهنة، بما في ذلك قضايا الهوية، السلطة، وإدارة التنوع العرقي والطائفي، مما يساعد في تصميم سياسات متوازنة تدعم الاستقرار والتنمية المستدامة.

وبذلك نستنتج الى ان تركيبة المجتمع العراقي تتكون من جماعات فرعية متداخلة ومتماسكة توطرها المصالح الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، ولا يرغب أي طرف ان يفقد هويته الفرعية او يتنازل عن عنوانه القومي او الطائفي وينصهر في تمثيل مركزي قوي للدول العراقية بالمنظور الحديث، وذلك بسبب أزمة الثقة التي خلفتها الأنظمة السياسية الحاكمة وايدولوجياتها العنصرية التي تركز على سياسة الاقصاء والقهر والتهميش.

التوصيات

- ونصل في بحثنا الى بعض التوصيات التي قد تفيد دراسة هذا الموضوع منها:
- 1- تعزيز دور الفلسفة والسياسة النظرية: الفلسفة السياسية تساهم في فهم الأسس الفكرية التي تقوم عليها الأنظمة السياسية. يمكن دراسة كيفية تأثير الفكر الإنساني والفلسفي في صياغة الدساتير والقوانين في العراق.
 - 2- دور التاريخ في تشكيل الوعي السياسي: دراسة تاريخ العراق السياسي يمكن أن تسلط الضوء على كيفية تشكيل الهوية الوطنية والدولة من خلال الصراعات الاجتماعية والسياسية، وكيف يمكن للتاريخ أن يقدم دروساً لتجنب الأخطاء السابقة.
 - 3- علم الاجتماع السياسي: تحليل العوامل الاجتماعية والثقافية التي تؤثر على النظام السياسي، مثل العشائرية، الطائفية، والعرقية، يمكن أن يكون مهماً لفهم كيف تتشكل الأنظمة السياسية في العراق وكيفية تأثير هذه العوامل على الحكم.
 - 4- علم النفس السياسي: فهم سيكولوجية القادة والسياسيين والجماهير يساعد في تحليل كيفية صنع القرار السياسي في ظل الضغوط الاجتماعية والاقتصادية. قد يكون هذا مفيداً في تقييم القيادات السياسية العراقية وأثرها على النظام السياسي.
 - 5- تأثير الإعلام والاتصال الجماهيري: الإعلام له دور كبير في تشكيل الرأي العام والسياسات. دراسة كيفية استخدام الإعلام في العراق للترويج لأيديولوجيات سياسية مختلفة أو لمحاولة السيطرة على الجماهير يمكن أن تكون جزءاً مهماً من هذا البحث.
 - 6- التعليم والتربية السياسية: التعليم له دور رئيسي في بناء الوعي السياسي، ودراسة تأثير التعليم في العراق على تكوين الجيل الجديد من السياسيين والمواطنين قد توضح كيفية بناء نظام سياسي أكثر استدامة.

7- المشاركة المدنية والحركات الاجتماعية: فهم كيفية نشوء الحركات الاجتماعية ودورها في التغيير السياسي يعد من المحاور الرئيسية في تحليل الأنظمة السياسية. في العراق، هناك دور بارز لهذه الحركات في تشكيل المشهد السياسي الحديث.

ومما تقدم نصل الى اثبات فرضيتنا القائمة على العلاقة طردية بين أهمية دراسة العلوم الإنسانية والاجتماعية والاعتماد بها الى درجة الاهتمام بالعلوم التطبيقية، فكلما وجدت الحلول للمشاكل العالقة بين الفرد والحكومة، كلما ساعد ذلك في توفير فرص تحقيق ثقة متبادلة بين الطرفين، وهذا يعني انها قد تساعد في فهم العلاقة بين العلوم الإنسانية وتشكيل الأنظمة السياسية في العراق وتقديم إطار شامل لتحليل هذا التأثير.

قائمة المصادر والمراجع

- 1- الدراجي زروخي، العلوم الانسانية والاجتماعية واشكالية القيم في الأبحاث العلمية، مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية، العدد 7، جامعة بابل، 2017.
- 2- انتوني جيندز، مقدمة نقدية في علم الاجتماع، تعريب أحمد زايد، محمد محيي الدين وآخرون، ط2، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، جامعة الآداب، جامعة القاهرة، 2006.
- 3- إيمانويل والرستايين، علم الاجتماع الغربي: مساءلة ومحاكمة كبير علماء الاجتماع يراجع فكر الرواد، تعريب: محمود الدواوي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، فرجينيا، الولايات المتحدة الامريكية، 2011.
- 4- جمال محمد أبو شنب، السلوك الاجتماعي: الاتجاه السلوكي في نظرية علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2008.
- 5- حسام الدين محمود فياض، نظرية الفعل الاجتماعي عند ماكس فيبر: دراسة في علم الاجتماع التأويلي، مكتبة نحو علم اجتماع تنويري، ط1، 2018.
- 6- رث والاس ألسون وولف، النظرية المعاصرة في علم الاجتماع: تمدد آفاق النظرية الكلاسيكية، تعريب: محمد عبد الكريم الحوراني، جامعة اليرموك، الأردن، ط1، 2012.
- 7- زينة على أحمد، إعادة صياغة العقد الاجتماعي في العراق، برنامج الأمم المتحدة الانمائي، 30 تشرين الاول/اكتوبر 2021.
- 8- شوميليه جاندر، كورفوازييه، مدخل الى علم الاجتماع السياسي، تعريب: إسماعيل غزال، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1988.
- 9- علي الوردي، دراسة في طبيعة المجتمع العراقي: محاولة تمهيدية لدراسة المجتمع العربي الأكبر في ضوء علم الاجتماع الحديث، ط1، العراق، 1965.
- 10- فيصل زيات، إبستمولوجيا العلوم الانسانية والاجتماعية، مجلة الساوره للدراسات الإنسانية والاجتماعية، المجلد 8، العدد الاول، جامعة بشار، الجزائر، 2022.
- 11- لطفي محمد، العلوم الانسانية والاجتماعية: دراسة مقارنة، مجلة قيس للدراسات الانسانية والاجتماعية، المجلد3، العدد الاول، حزيران/ يونيو 2019، جامعة الوادي، الجزائر.
- 12- مؤسسة انجاز للدراسات والبحوث، ماهي العلوم الإنسانية، شبكة المعلومات الدولية. او على الرابط:

<https://www.enjazresearch.com/blog-details.php?id=28>

13- مهي المصري، العلوم الانسانية وتحديات العصر، اوراق ثقافية، مجلة الآداب والعلوم الانسانية، العدد29، جامعة باتنة- الحاج الخضر، الجزائر، 2 شباط/ فبراير 2024، شبكة المعلومات الدولية. او على الرابط:

<https://www.awraqthaqafya.com/tag/%d8%a7%d9%84%d8%b9%d8%af%d8%af-%d8%b1%d9%82%d9%85-29->

14- ماهي العلوم الإنسانية، مؤسسة انجاز للدراسات والبحوث، شبكة المعلومات الدولية. او على الرابط:

<https://www.enjazresearch.com/blog-details.php?id=28>

15- ناجي الغزي، قراءة أنثروبولوجية في بنية النظام السياسي العراقي، موقع قناة زاكروس الالكتروني، 26/4/2023، شبكة المعلومات الدولية. او على الرابط:

<https://zagrosnews.net/ar/opinions/42250>

16- يمني طريف الخولي، مشكلة العلوم الانسانية: تقنينها وإمكانية حلها، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 1996.

17- An approach in human and social sciences, pepr origins, or on the web:

<https://pepr-origins.fr/en/research-areas/an-approach-in-human-and-social-sciences/>